رواية

اختطاف المبرّ

محمد علي عيسى

إ هـد ا ء

" إلى من لا يملكون شيئا و تلك التى تملك كل شئ "

مقدمة :-

ماذا لو كان كل ما تعيشه هو كذبة كبرى

لو أنك شخص أخر لوأن كان كل ما صدقته كذبا

لو أنك صرت أحدا لا تعرفه لو أن كل ما حولك يخبرك بأنك لم تعد أنت لو أن عقلك توقف عن استيعاب المحدود وإدراك اللاحدود

لو أن من تدافع عنهم هم من استحقوا عقابك

فى رحلة إلى المجهول قد تعرف من هو الخطاف ربما تهابه

ربما تجد فيك جزءا منه ربما تمنيت أن تكون مثله ولكنك بالأكيد لو عشت بزمانه لإبتعدت عنه قدر المستطاع

فأنت لا تريد أن يعبث بعقلك أو بقلبك أو بأى مما تخاف عليه وإن كنت من الأشقياء فى الأرض أو من الطامعين فى ملكه

هنيئا لك قد تجد نفسك يوما ما معلقا على خطافه هذا إن عشت زمانه فى النهاية ستعلم أن الخطاف ليس واحدا

إنه " رمز " ما إن يضعه صاحبه حتى يحمله أخر

فى غرفة مغلقة داخل منزل قديم تقف طفله صغيره بجوار سرير أخيها الأكبر (عمر) وتضع يدها على وجهه مرارا وتكرارا حتى توقظه من نومه فى ذلك الوقت قبل الظهر بقليل .

ليفتح عينيه الواحده بعد الأخرى ليجد ذات الوجه البشوش والمبتسمه دائما أخته الصغرى ذات العيون الخضراء والشعر الأصفر

عمر : " ما الذى اتى بك هنا أيها الروبوت "

جنا : " ماما "

عمر : " حتى يوم العطله علمت ذلك من البدايه ترسلك إلى حتى لا أستشيط غضبا ولكننى الأن سأكلك ..... سأكلك "

ويقربها من وجهه وما إن قربها إلى وجهه حتى قبلته وهربت من الغرفه وهى تصيح : " ماما أوقظت عمر

عمر : " أيها الشيطانه وكأنها لا تعلم "

ليخرج من غرفته ويجد أمه التى جاوزت الأربعين بقليل تقف أمامه قائلة : " ألا تستيقظ أبدا "

عمر : " هذا عندما أستطيع النوم فى هذا المنزل إنه يوم عطلتى ماذا أفعل "

أمه (ماريانا) : " وهل تفعل شيئا غير النوم لقد رحل أبيك عن عالمنا بعد أن تركك إلى أنت وتلك الطفله ونعيش على مال أبيك الذى قارب على النفاذ "

عمر : " وكأنه لم يكن راحلا دائما لقد كان يرحل بإستمرار هنا وهناك هائما بين منحوتاته الغبيه ورسومه التى لا تعنى شئ حتى رغم صغر سنى أنذاك علمت أن تلك اللوحات سيئه "

ماريانا : " أنت لا تعلم شيئا عن والدك ولا تتحدث عنه بتلك الصورة لقد اعتزلت الدنيا لأتم تربيتك أنت وأختك حرمت نفسى من كل ملذات الحياة حتى أعيش من أجلكما ".

عمر : " أفضل شئ تفعليه تزوجى عندها فقط ستتوقفى عن لومنا أنا وأختى على موت أبى الذى لا أعلم أين مات ولا أتذكر اليوم الذى مات فيه "

ماريانا : " إخرس " وتلطمه على وجهه .

فلا يرد عليها ويغادر المنزل بسرعه بعد أن أرتدى ملابسه ورحل.

اسطنبول المدينه التى ولد بها يتجول فيها إلى أن وصل إلى القرن الذهبى أحد أفضل الموانئ الطبيعية في العالم ليجلس بجانب مسجد السلطان أحمد لساعات إلى أن شاهد الغروب على مضيق البسفور جلس يفكر فى الخمسة وعشرون عاما التى قضاها من عمره بدا وكأنه لا يتذكر منها سوى دراسته للأثار والتاريخ وعمله كمرشد سياحى ذلك العمل الذى بدأه فيه من سنه بشركة أدفنشر تورز رغم أنه لم يعد يطيق هذا العمل ولا يتحمل تلك المهنه لقد أحب الأثار والتاريخ كهواية ولكن عندما تتحول الهواية لمهنه تصبح شيئا مملا وفظيع يقودنا إلى ان نفقد عقلنا فى الكثير من الأحيان

يشعل سيجارة تلمع فى ضوء الغروب الذى يمتزج بظلام الليل الذى أوشك على الظهور لم يقطع ذلك الهدوء والسكن إلا هاتفه الجوال الذى أخذ يضئ ويهتز مرارا وتكرارا

إنها (لورا) الفتاة الفرنسية التى وقع فى حبها لم يمنعها عملها كمضيفه فى شركة الخطوط الجوية

الفرنسية - كيه إل إم من الاعتناء بحبيبها ورؤيته كلما سنحت لها الفرصة بالقدوم على متن الرحلات إلى اسطنبول بعد أن أمضى معها العطلة السنويه بجنوب فرنسا السنة الماضية وقد استمتعا بقرية سانت أنياس الجميله وتمتعا بالهدوء الذى وجدوه بمدينة أرل عندما قاما بزيارتها تلك المدينة التى تتميز بجمالها الخلاب وما فيها من بقايا العمارة الرومانيه

ليجدها تنتظره جالسة على صخره وقد وصلت قبله إلى المكان بنصف ساعه

يجلس إلى جانبها ممسكا يدها

عمر : " تأخرت عليك يا حبيبتى "

لورا وتبقى نظرها للأمام : " نعم كثيرا أنت تعلم أن رحلتى غدا صباحا أليس كذلك "

عمر : "وهل سيمنعك ذلك من أن تقضى الليلة إلى جانبى "

لورا: "قد يمنعنى "

عمر :"اذن لماذا انت هنا الأن "

لورا :" لأننى أريد قضاء عمرى كله إلى جانبك "

عمر : " إشتقت إليكى"

لورا : " أما أنا فلا"

عمر : "فعلا ؟ "

لورا : " بالطبع فأنت معى دوما أجدك حولى فى كل شئ صوتك لا يفارقنى "

يقاطعها قائلا :" لقد حلمت بك البارحه "

لورا : " حدثنى عن ذلك الحلم ؟ "

عمر : "حلمت أننى استيقظت من نومى فى غرفة ضخمه كما لو كانت بقصر ووجدتك بجانبى نائمه وشعرك مفرود على المخده عندها قبلتك ورحلت "

لورا : " وماذا بعد ذلك ؟ "

عمر : " استيقظت ووجدتنى بدون غطاء "

لورا بعد أن تضربه على صدره : " أيها المخادع "

عمر ضاحكا : " الغريب أننى لا أحلم كثيرا إنه لمن الجيد ألا يمتلك المرء أحلاما تشغله وتؤرق منامه "

لورا :"بالطبع أنت لن تحلم كثيرا طالما ترتدى ذلك الخاتم الغريب الشكل بالأرقام الموجوده عليه من كل جانب والحجر الأزرق الذى يتوسطه "

عمر : " حسنا أنا لم أختاره أبدا فى الحقيقه لا أتذكر متى ارتديته ولكن أمى قالت لى أنه إرث عائلى "

لورا : " إذن لماذا تصر على ارتداءه ؟ "

عمر : " حاولت كثيرا أن أخلعه ولكنى لم أنجح كما أنه ليس قبيحا أليس كذلك "

لورا : " إنه جميل جدا ولكنه غريب يبدو وكأنه من زمن أخر "

عمر : " نفس الشئ سمعته منك عنى عندما قابلتك أول مره (أنت من زمن أخر) "

لورا : " مازلت تتذكر "

عمر : " لم أنس قط وأتمنى أن يتحقق حلمى هذا "

لورا : يقول إبن سيرين (أحلام المرء ثلاث إما حقيقه أو رغبه أو شهوه).

عمر : " أتمنى أن تكون الحقيقه "

لورا : " إذن عندما يتحقق ذلك الحلم أوقظنى لأظل معك ولا تتركنى وترحل ".

تمسك يده وتقترب منه أكثر قائلة : " لماذا يملأ الحزن عينيك يا عشقى ما الذى تخفيه عينيك عنى ".

عمر : " اه يا ملكتى وليتهما تقدران على ذلك "

لورا : " حدثنى وتأنى ولا تخف مما تتمنى "

عمر :"لا أعرف أشعر بالملل والبؤس من حياتى كلها لا اعرف كيف تسير بى الدنيا لا أرى لى هدف فيها كل شئ يتحرك من حولى وأنا فقط أراقب بصمت "

يشد على يديها بقوه ويقول : " أخشى أن تنتهى حياتى دون أن أجد الطريق أخاف يوما لا أجدك فيه إلى جانبى أخاف أن تكونى لغيرى وألا أرى عينيكى فى الباقى من عمرى ".

لورا : " إذن ستتمسك بى وبحلمك إلى نهاية عمرنا لأنى لن أتخلى عنك إلى أخر نفس أتنفس به فى هذه الدنيا

فأنت مهما فعلت ولو حتى ابتعدت ستظل عشقى ولى وحدى

عدنى أنك لن تتركنى لن تغضبنى عدنى ألا تأتى يوما طفلة وتسرقك منى "

عمر : " أعدك يا ملكتى ألا تكون غيرك وجهتى وأن تنيرى دوما ظلامى ووحدتى "

تضمه إليها قائلة : " مهما ابتعدنا طالت المسافات بيننا سنلقى بعضنا بعد كل ابتعاد بعد كل رحله سيظل الاشتياق حيا ويعيش الحب بقلوبنا

ويحفظ العشق عهدنا " .

عمر : " ولكننى بين الحين والأخر أستطيع أن ألقى امرأه أو اثنان ستسمحين لى بذلك "

تترك حضنه وتبتعد قليلا وتبتسم قائله : " هل ترى يداي هاتين ؟ "

عمر : " نعم وكم أحب تقبيلهما "

لورا : " سيكونا أخر ما يلتف حول عنقك إن أصبحت لامرأه غيرى أنا لا أقبل أن يشاركنى فيك أحد فإما أنا وحدى وإما لا شئ "

عمر : " أنتى أنثى فريده غريبه عجيبه لا تقبل المزاح أبدا "

لورا : " حسنا أنا أتقبله فى بعض الأحيان ولكننى لا أمزح بقلبى "

عمر : " ولهذا أنتى ملكتى لقد تأخر الوقت يجب أن نرحل الأن لديك رحله فى الصباح الباكر "

لورا : " إبق لخمس دقائق أخرى"

عمر : " وما الذى سيؤثر بخمس دقائق أخرى؟ "

لورا : " سيؤجل لهفتى لرؤيتك مرة أخرى "

عمر:" يوما ما أظن أننا سيكون لنا عالمنا وحدنا "

لورا : " لنا ذلك بالفعل "

استعدت لورا للرحيل بعد أن أوقف لها عمر سيارة أجرة لتقلها إلى *فندق* جولد أبريليس الذى ستقضى به ليلتها قبل رحلتها صباحا .

ودعها عمر وقبلها وطلب منها ان تتصل به عندما تصل رحلتها بسلام .

إنطلقت السيارة بعيدا بينما هو يسير ببطء مطلقا صفيرا بفمه يدخن سيجارة أشعلها من أحد الماره .

ظل يتحرك بهدوء يسمع خطوات أقدامه على أوراق الشجر المتساقطه التى تغطى الأرض وكأن تلك الخطوات كنغمات متتاليه تصدر عن أله موسيقيه عذبه إلى أن سمع خطوات مسرعه تخطو وراءه وتتسارع تدريجيا ويزداد صوت أوراق الشجر ويزداد الايقاع بأذنه فيلتفت وراءه بسرعه ولكنه لا يجد شيئا

ينظر بكل جانب ولكن دون جدوى لا يجد أحدا حوله ليكمل طريقه مره أخرى وما إن نظر للأمام حتى تكررت الخطوات المسرعه لينظر خلفه فلا يجد إلا

الأوراق التى تتهاوى ببطء على الأرض بفعل شئ ما أدى إلى حركتها .

فإستكمل طريقه بسرعه وضربات قلبه تزداد مع تكرار الخطوات المتسارعه فليقى السيجارة أرضا وينفث دخانها عندما نظر خلفه

ليجد الدخان ازداد بصورة كثيفه حجبت الرؤيه كالغيوم ولكن بعد أن انقشعت فزع عمر لرؤيته لرجل أشعث ذو أسنان فضيه تلمع فى ظلام الليل وقد أضاء عود ثقاب أزرق فى هذه الظلمه الكاحله.

يتحدث إلى عمر قائلا :" أنت لا تشبه والدتك قط "

عمر : " من أنت وكيف تعرفنى ؟؟ "

الرجل الغريب : " يمكنك أن تنادينى بالأشعث فإسمى لم يعد مهما على الإطلاق " .

عمر فى ذهول : " ماذا تريد منى ؟ "

الأشعث : " جدك يريد رؤيتك ستأتى معى "

عمر : " إلى أين أنا لا أعرف من أنت وليس لى جد على قيد الحياة ".

الأشعث : " ليس لدى رغبة فى الجدال لنذهب إلى أمك ستخبرك بكل شئ ".

ركب الإثنان سيارة تسير بجوارهما بهدوء ليس لها صوت سوداء قاتمة اللون ذات زجاج قاتم من كل الجهات عتيقة الطراز وكأنها ظهرت من العدم .

ركب الأشعث إلى جانب السائق بينما جلس عمر فى الخلف بعد أن كان مترددا فى الذهاب معهم لم ينظر السائق إلى الخلف قط ولم ينطق بكلمه طوال الطريق إلى منزل عمر

استقرت السيارة أمام المنزل لينزل منها الأشعث مع عمر ليطرق الباب بقوة من خلال طرقات متتاليه كما لو كانت شيفرة من نوع ما.

فتحت ماريانا والدة عمر الباب إمراة فى أوائل الأربعينات تصغر سنها بكثير عاملتها السنين برفق

فتحت الباب لتجد الأشعث يقف بجانب عمر لم تبدو عليها الدهشه كثيرا بدت وكأنها رأت الأشعث من قبل

فقالت : " هل هو الوقت "

فرد الأشعث بضحكة فضية : " نعم "

فنظرت إلى ابنها الذى ما زال مذهولا ولا يعلم أى شئ وقالت له : " إدلف للداخل "

عمر : " دقيقتان من الأن وقد يتلف عقلى حقا ماذا يحدث ؟؟ "

ماريانا : " ستذهب الأن إلى مكان بعيد لا يعلم أحد طريق الوصول إليه إلا الذين يقطنوه هناك يسكن جدك الذى أرسل بطلبك الأن جدك يا ولدى هو (على الخطاف).

عمر : " لى أنا جد وهو أيضا على قيد الحياة !! أهذه مزحة من نوع ما لأننى لا أفهمها ".

ماريانا : " يجب عليك أن تسمعنى "

عمر : " أمى أنا لا أذكر وجه أبى كل ما أتذكره أنه كان كثير الترحال ولا أرى إلا منحوتاته ولوحاته التى تملأ المنزل فى الحقيقة أنا لا أتذكره ولا أتذكر وجهه ".

ماريانا : " لقد مات والدك منذ زمن بعيد "

عمر : " هذا ما سمعته منك عندما كنت صغيرا ولم أفهم يومها معنى ذلك والأن لى جد ولا أعلم عنه شيئا "

ماريانا : " جدك هو من قتله "

عمر والدمع يملأ عينيه :" كيف يقتل الأب ابنه !! انا لا أصدق "

ماريانا : " يجب أن تصدق جدك يا ولدى رجل يهابه كل من سمع اسمه لا يُذكر اسمه إلا بخوف يهابه كل من استحق المهابه لا يبق له عدو على قيد الحياة لا يستطيع أحد النظر فى عينيه ."

عمر : " ولكن لماذا هو كذلك "

ماريانا : " جدك لُقب بالخطاف لأنه يعلم كيف يخطف أمال وأحلام المرء ويعلم كيف يمحو أحلام الأخرين ويقتلهم من الداخل أولا وعندما تصل إليه ستعرف أصل هذا اللقب ".

عمر : " إذن سأذهب إليه ولكن أين يمكث هذا الملعون ؟ "

ماريانا: " جدك له ملك كبير يسكن فى قصر لم يسكنه بشر من قبل عاش معه أبيك قبل أن يتزوجنى ذات يوم هرب أبيك من بطشه لأنه رفض أن يتزوج إمرأة ما فحكم عليه جدك ألا يتزوج أبدا ولكن أبيك قابلنى بعدها وأحبنى وأحببته وتزوجنى وكانت النتيجة لعصيانه أن جدك علقه على خطاف على باب قصره لأسبوع قبل أن يدفنه وهذا ما أخبرنى به الأشعث عندما أتى لسيلمنى رسالة (على الخطاف)

" يجب أن يكون العقاب بنفس قبح المعصية "

عمر : " كيف تجتمع تلك الوحشية فى شخص واحد "

ماريانا : " أنت لا تعلم النار التى كتمتها بقلبى لسنوات لأراك تكبر أمام عينى ولا أقدر أن أصارحك بحقيقة ما حدث لأبيك لقد احترق قلبى عليه كثيرا "

تمسح الدموع التى سالت على خديها قائلة :

" كم خفت هذه اللحظة أن يأتى الوقت الذى يأخذك فيه منى "

عمر : " إذن إهربى ودعى هذا الأمر لى "

ماريانا : " لا أعلم لماذا يطلب حضورك الأن ولكن ما أعلمه هو أننا لو هربنا سيجدنا وعندها سنلقى مصير أبيك .

عمر : " إطمئنى الأن سأذهب مع ذلك الكائن الموجود بالخارج ولن أعود حتى أقتص منه مهما كان الثمن

إنتبهى لنفسك يا أمى وإعتنى بأختى وإعلمى أننى مهما غبت سأعود"

بعد عناق يسمع الطرق على الباب ليجد الأشعث يحدثه قائلا :" لقد تأخرنا"

عمر :"أنا قادم "

الأشعث : " وحدك بلا شئ "

عمر : " حسنا سأحضر هاتفى فقط"

الأشعث : "لا تحضره لن ينفعك حيث سنذهب"

عمر يتحدث إلى أمه قائلا : " سألقاك حتما يا أمى وإن غبت عنك فأنت دوما بقلبى ".

الأشعث : "لا تحب أن تتأخر على الخطاف "

عمر : " وهل يغضبه ذلك "

الأشعث : " جدا "

عمر : " إذن أمامنا وقت لمقابلة شخص "

بدأت الأمطار فى الهطول بعد منتصف الليل

استقرت سيارة يستقلها ثلاثة أشخاص أمام فندق جولد أبريليس نزل منها عمر ودلف للداخل سأل عن نزيل بالفندق وطلب منهم الاتصال به لأمر عاجل لتنزل لورا بعد دقائق إلى باحه الفندق فى ذهول لترى عمر وقد بدا على وجهه ان هناك شئ خاطئ

لورا : " عمر ماذا يحدث هل أنت بخير "

عمر : " نعم أنا بخير "

لورا : " هل هناك خطب ما ؟ "

عمر بعد تنهيده : " فى النهاية ستصدقينى أليس كذلك "

لورا : " أنت تقلقنى ولكن لماذا لا أصدقك فلم أعهدك كاذبا كما أنى أأتمنك على قلبى أغلى ما عندى "

فحكى لها كل ما حدث وكل ما عرفه حتى هذه اللحظة .

لورا : :"حكاية غريبه إذن ماذا ستفعل "

عمر :" سأذهب بالطبع هناك الكثير الخطاف لديه الكثير من الأجوبه التى أحتاجها هناك حلقة مفقوده لن أجدها إلا عنده"

لورا : " وبعد أن تجد تلك الأجوبة"

عمر : "سأقتص منه بعدد سنوات عمرى "

لورا : " لن اجادلك بشئ لأننى أعلم أنك متزن لدرجة لن تجعلك ترتكب شيئا غبيا أليس كذلك "

عمر : " بالطبع أنا أعى ذلك تماما"

لورا : " أنا لا أخاف عليك فلم أرك يوما خائفا أو ضعيفا وفى النهاية أعلم أنك ستعود"

عمر : " أتمنى ذلك "

لورا : " فى النهاية أنت حفيد ذلك الخطاف لابد أن بك شيئا منه "

عمر :"لا أمل ذلك "

لورا : " لأول مرة أصبح قلقة عليك لأول مره أشعر أننى أكبرك سنا هذه المره ستتركنى وتذهب بعيدا "

عمر : " لست بالأنثى التى تُهجر أنت حورية تواضعت ونزلت إلى الأرض"

قامت بخلع خاتمها وقالت : " احتفظ بهذا معك سيذكرك بى أينما تذهب"

عمر : " إن كنت أستطيع خلع خاتمى لخلعته ولكنه إرث ذلك الخطاف ولكن خاتمك سأحفظه بقلبى إلى أن نلتقى ".

يشد على الخاتم بيده .

لورا : " سأنتظرك بهذا العالم وبأى عالم أخر تكون فيه ستجدنى بكل مكان جمعنا وبكل طريق سلكناه ستراني بأحلامك إلى أن نلتقى لأنك لا تفارق أحلامى ".

عمر : " أنا لا أحب لحظات الوداع سأذهب الأن ".

بعد عناق انطلق إلى السيارة التى سيتقلها الأشعث وركب فحدثه الأشعث : " هل انتهينا " .

عمر : " كيف ذلك لقد بدأنا لتوا"

إنطلقت السيارة لمدة خمس ساعات دون توقف بعدها إلتف الأشعث إلى عمر قائلا :"ضع الحزام يا على "

عمر:" اسمى عمر أم أن ذاكرتك ضعفت يا جدى "

الأشعث : " اعذرنى أنا أتكلم بما أعرفه فقط واسمك الحقيقى هو على –(على الخطاف) هكذا سُميت "

عمر:"ومن سمانى بهذا الاسم"

الأشعث : " ومن غيره جدك يا ولدى"

بعدها إنطلقت السيارة بقوة أكتر وأصبح زجاجها قاتما وأكثر سوادا زمجرت بقوة وعلى صوتها وتحركت رأسيا لأسفل وكأنها هوت إلى مركز الأرض .

إحمرار عينى السائق وتوهجهما ظهر بالزجاج الأمامى وقد لاحظه عمر فبدا وكأنهما مشتعلتين فعلا .

بعد ستة ساعات إستقرت السيارة بطريقا أفقيا مرة أخرى وهدأ صوتها .

تحركت فى طرق ترابيه وتبدل زجاجها من القاتم إلى شفاف وكأنه ضباب وإنقشع .

ليرى عمر كل ما حوله وكأنه انتقل إلى العالم الأخر وكأنه يرى الجنا بما فيها من ثمار وأنهار جاريه

وطيور ذات ألوان غريبة والأزهار التى توجد على جانبى الطريق.

إنبهر برؤية الشلالات بعد أن مر على نهر متجمد به مراكب شراعيه قديمه ظهر عليها الكثير من النقوش والرموز.

إنتهت السيارة إلى طريق به قصر فخم له بوابة كبيره بدت وكأنها باب قلعة وليست لقصر .

توقفت السيارة ونزل منها عمر ليقف أمام باب القصر عندها نظر إليه الأشعث وقال : " الأن وصلنا لأخر الطريق ستجده بالداخل أرسل إليه سلامى "

وانطلقت السيارة مسرعة بعيدا فى الاتجاه المعاكس .

والدهشه لم تختفى من وجه عمر قط ..

وما إن اقترب من البوابه حتى انفتحت على مصرعيها ليجد طريقا ممهدا على جانبيه نهران على ضفافهما الزروع والأشجار على مرمى البصر يستقر فى نهاية الطريق قصرا عجيب عالى البنيان تملأه الرسوم من كل جانب بدا وكأنه يرجع إلى عصر أخر بدا وكأن المكان برمته من زمن أخر .

تقدم عمر ببطء متلفتا حوله فى جميع الإتجاهات ونظر لأعلى وقد لمح فستان أبيض يبتعد عن شرفة من شرفات القصر ويدلف بسرعه إلى الداخل .

دلف الفتى إلى الداخل ببطء بعد أن انفتحت الأبواب على مصرعيها دون أن يمسها أحد يمشى فى ذهول لما يرى فما يجد من رسوم على الجدران والنقوش إلى التماثيل التى تتوسط القصر وما إن استقر بالداخل حتى غُلقت الأبواب بسرعه مرة أخرى وكأن ليس لها وزن

ليسمع صوتا غليظا يأتى من أعلى سلم القصر " من أنت ".

ليتحرك الفتى نحو صاحب الصوت ببطء

قائلا : " السؤال هو إن لم تعرف من أنا فكيف أصبحت أنت "

الخطاف : " أنا لم أسأل عن اسمك يا فتى سألتك من أنت إن لم تكن تعى معنى الكلام فمكانك هو مكان أبيك ".

يتقدم تدريجيا نحو الرجل العجوز الذى بدأ بالنزول إليه من أعلى

" كما قتلته أيها السفاح "

الخطاف :" لو كان قد مات لما كنت هنا الأن لكنت احترقت قبل أن تدخل هذا القصر "

عمر : " على شيبتك هذه وتكذب أيها العجوز الأحمق أنا لا أهابك فافعل تنويه ".

الخطاف : " يبدو أنك لا تعلم شئ ".

عمر : " إن كنت ستقتلنى فالأفضل أن تفعلها الأن لأنى لم أت إلى هنا إلا للعدل لم أت إلى هنا إلا لأقتلك ".

بعد أن نزل العجوز المخضرم ذو العينين الجاحظتين والشعر الفضى والعينين الزرقاوتين ذو اليد اليمنى التى ينقصها إصبع والتى يتوسطها خاتم كخاتم عمر ولكنه ذات لون أخر وقد ملأته الطلاسم من كل جانب حتى الحجر الكريم الذى يتوسطه على شكل حرف غريب .

إبتسم الخطاف ابتسامه خافته ويتحدث قائلا : " مرحبا بك يا حفيدى العزيز " .

ثم لطمه بقوه على وجهه الذى سال دما

ويستطرد : " هذا لأنك رفعت صوتك ".

يحاول عمر أن يضربه ولكنها محاولات دون جدوى أمام العجوز الذى رفعه لأعلى بيد واحده

قائلا : " ألم تأت للعدل إنتظر حتى تراه "

ورماه بعيدا قائلا : "والأن إلى أبيك ستجدها بنهاية الممر بالأعلى"

" سنتحدث غدا " قالها وابتعد متمتما " العدل أم الانتقام كلاهما إنصاف مؤلم ".

إتجه الفتى إلى المكان حيث أشار الخطاف وهناك قضى ليلته مذهولا لا يصدق أيا مما يحدث يسيل الدم من وجهه وهو مخدرُ من أثر اللطمه التى تلقاها.

بعد أن غفلت عينيه من التعب إستيقظ الفتى فى منتصف الليل على دقات متواصله عند أذنيه وما إن استيقظ حتى انقطع صوتها وكلما أغمض عينيه مرة أخرى كلما عادت الدقات متواصلة وبسرعة أكبر وما إن غفل هذه المرة وأغمض عينيه حتى سمع همسا بأذنيه قائلا :"على الخطاف ...الخطاف الأصغر ".... " الخطاف الأصغر ....على" استيقظ يا على ..".

لمدة تزيد عن الساعه لم يتوقف النداء إلى أن قرر الفتى أن يعرف مصدر الصوت فتحرك بإتجاهه إلى أن نزل القبو الموجود بالقصر الذى بدا كما لو كان مهجورا منذ زمن .

وكلما نزل سلما من سلالم القبو كلما إزداد الصوت تدريجيا إلى أن انتهى أمام حائط يغطيه الرماد ليمد يده على الحائط ويسمح يديه بعدها بعد اللون الأسود الذى ملأها الرماد به .

بعد أن انتهى من نفض الرماد من يديه تطاير الرماد بالجو إلى أن ملأ الفراغ حوله حاجبا ما واءه .

بعدها تضائل الرماد تدريجيا ليظهر خلفه شيئا أخر .

نطق قائلا : " وريث ملك مولانا وصلت وإتصلت وإن إعتزلت جئناك لو أمرت ".

من ضخامة صاحب الصوت وهيئته رأسه الكبيره وأذنيه العاليتين وقرنيه وعينا الكوبرا خاصته فقد عمر وعيه .

ليستيقظ بعدها على نفس الصوت لينظر إليه فيجده بهيئة بشرية سويه غير تلك التى رأه عليها من قبل .

يتحدث صاحب الصوت قائلا : " مولانا الخطاف (رازديجان) فى خدمتك".

عمر : " من أنت؟ " .

رازديجان :"عفريت من الجن "

عمر : " خادم ذلك العجوز الأحمق الموجود بالأعلى ".

رازديجان : " لن أخبرك الكثير ولكنك خليفة الخطاف ووريثه الوحيد".

عمر : " وأى إرث هذا "

رازديجان : " ستقرأ الكتاب الذى تركه لك عندها قد تفهم "

اقترب من عمر بصندوق خشبى تصاعدت منه أصوات الدقات المتتاليه وما إن وضع عمر يده على

الصندوق حتى توقفت الدقات تماما ليفتح الصندوق ويخرج كتابا منه متوهجا كالجمر ولكنه لا يحترق .

رازديجان : " بهذا الكتاب قد تعلم ما هو الإرث الذى تركه لك بهذا الكتاب قد تعرف الحقيقة الكامله ".

عمر : " وماذا بعد ذلك "

رازديجان :" إقرأ الكتاب وقد تعرف كل شئ لا تتعجل فأيامك هنا طويله ".

يقرأ عمر أول صفحة بالكتاب .

" من خطانا نكتب أنا شاهجهان رؤيانا لمولانا وسيدنا الخطاف لما شهدنا وما رأينا وما علمنا نكتب بناءا على طلب مولانا ونقص من رؤيانا ".

ليقلب عمر الصفحة ويقرأ الأتى :-

" يحكى فى زماناتنا عن مولانا الخطاف أتى إلى بلدتنا وعاش زماننا وزمان من قبلنا جاء إلى هنا مسالما يعيش بقصره مستقلا دون كافة البشر مترفعا عن عامة الناس ولكن فساد الدنيا فى قلوب بلدتنا أقنع ساداتها أن يقتلوا هذا الطيب ويأخذوا قصره وما حوله

من الملك وإستطاعوا قتل زوجته التى كانت وحدها بعد أن خرج مولانا

وعند عودته استدعانا واستحضرنا على كافة أمرنا فما كان لنا إلا أن ذكرنا ما رأينا أمامنا فإستشاط مولانا غضباً وصرفنا فغصنا فى سابع أرض ثلاث ليالٍ من أمر مولانا

بعدها وجدنا حاكم بلدتنا معلق بخطاف على باب قصر مولانا وكُتب بجانبه

" من حكمنا عدل يفوق إنتقامنا ".

يغلق الكتاب قليلا ويتحدث إلى رازديجان وما أدرانى أن كل ما يوجد هنا صدق وليس كذب

رازديجان : " لسببان أولهما أن شاهجهان هو أمين سر الخطاف ولم نعهد إليه كذبا من قبل طوال ما عرفناه .

ثانيا أنك ستعلم كل ما تقرأه عندما تراه فلن تتذكر الكثير إلا عندما تراه أمامك هذا لأنك الوحيد الذى

تستطيع قراءة هذا الكتاب ومن يلمسه سواك يحترق ".

(الأن ستصعد غرفتك حافظ على الكتاب جيدا لقد ضحى شاهجهان بحياته من أجله).

عمر : " وهل يمكن أن يموت أى شخص من أجل كتاب "

رازديجان : " إذا كان الثمن هو الكثير من الدماء فقد تموت من أجل سطر واحد من هذا الكتاب "

يرمش عمر بعينيه ليجد نفسه بالغرفه مرة أخرى ممسكا الكتاب بيده إلى الفجر لم ينم تلك الليلة ظل يقرأ الكتاب كما لو كان من الأساطير .

أشياء لا يصدقها عقل عن تلك البلدة وعن حياة مولانا وعن الجن الذين يقطنون قصر مولانا بعد بطش أهل البلدة بهم .

فقد استحضروا السحرة والمشعوذين لتسخير الجن وتعذيبهم فما كان من كثير منهم إلا أن استجابوا ولكن بعضهم لجأ إلى مولانا واحتمى به وعاش فى خدمته أمنا .

لم يستطع أن يتحداه الكثير فلا أحد يستطيع الإقتراب من ملك مولانا لأن رازديجان يحمى ملك مولانا فإن دخل أحد ما ملك مولانا إحتراق فى الحال إلا نسل مولانا من بعده.

وعن ذكر إبن مولانا يتحدث شاهجهان عن فساده وتلفه وطمعه فى ملك أبيه وعن تجواله فى البلدة ليلا إلى أن أسرته إبنة الساحرة " ليلانا" أشد الناس عداوة للخطاف وزاد جشع منصور الخطاف حين أخبرته ليلانا بأنها رأت فى المنام سلالته من بعده تحكم القصر وأن يكون لنسله أكثر ما لأبيه " على الخطاف " من سلطة وقوه .

سيطرت ليلانا على " منصور الخطاف " كليا وملأت رأسه بالكثير بل وعلمته من سحرها وإقترحت أن تساعده على تولى ملك أبيه ذلك العجوز الخرف شريطة أن يتزوج ابنتها الجميله " ماريانا "

كانت تلك الفتاة هى التى تراها بأحلامك دائما ولكنها فى النهاية لم تكن سوى إمرأة عادية سحرت ذلك الفتى وتلاعبت برأسه جيدا لتقلبه على كل من حوله .

إنها بالفعل ساحرة أخرى كأمها تزوجها الخطاف .

وعن علم مولانا بزواج ابنه من إبنة ليلانا يتحدث شاهجهان قائلا :-

" وأنا وجدنا من مولانا فورانا تغلى الأرض من تحته وكانت أخر مرة خرج من قصره إلى أن أتى بالساحرة " ليلانا" وكان لها من القوة ما قد إقترب من هلاك مولانا ولكنه إشتد عليها وفعل بها كما فعل بحاكم بلدتنا وكتب على ثوبها (يجب أن يكون العقاب بمثل قبح المعصية) ".

ويسرد الكتاب الكثير مما حدث عندما علم منصور الخطاف بما حدث لليلانا هرب مع إبنتها إلى بعيد وساعدهما على الهروب الأشعث خادم ليلانا .

وتنقل منصور الخطاف مع ماريانا فى الكثير من البلاد بعد أن أخفيا إسمهما عن الجميع .

ويسرد شاهجهان فى ما قبل نهاية الكتاب عن ماريانا قائلا : -

" أتى بها مولانا لينهى حياتها ولكنها كانت تحمل فى أحشائها حفيد مولانا فتركها تذهب رغم وعيدها بالثأر لأمها.

وكان رد مولانا كالأتى :-

" يوم تثأرين منى سيثأر منك من أنقذ حياتك اليوم عندها سأكون بإنتظارك إن كنت ظالما سيكون أظلم وإن كنت حاكما سيكون أحكم وإن كنت عالما فسيكون له كل ما علمت به سيرثه ويرث ما منعت عن ولدى "

ويكمل شاهجهان :-

" أما عن الأشعث فقد حكم مولانا ونفذ فى حكمه هذا رازديجان بأن الأشعث كما حرم مولانا من نسله الذى أرد فلن يكون للأشعث نسل أبدا ما كان حيا وما لم يحى بعد وعاش بعدها الأشعث بأعجوبه حيث إنكوى جلده بعد قطع خصيتيه ووضعهما رازديجان بين يديه.

أغلق عمر الكتاب قليلا قائلا :-

"هكذا إذن إتضح الكثير"

أشرقت الشمس على يوم هذا الفتى الذى لم ينم ليلته نظر من شرفة القصر فوجد فتاة تتجول فى حديقة القصر ليس لجمالها مثيل فتذكر ما وجد بالكتاب أن سلالة مولانا فقط هى التى تستطيع العيش فى ملكه .

أسرته تلك الفاتنه وكأنها حورية نزلت إلى الأرض تأملها ذهابا وإيابا وهى تتحسس الزهور وتشم رحيقها وكأن الزهور قد إفتتنت بها.

إستفاق عمر بسرعة من وضعه فى هذا القصر وقرر النزول إلى بهو القصر حيث وجد الخطاف يجلس على كرسيه.

جلس عمر أمامه وقال :- " إن كان ما وجدت صحيحا فأنا لا أريد سوى شئ واحد "

الخطاف : " وما هو يا حفيدى العزيز ما الذى يؤرق ليلك "

عمر : " هل أنا مراقب فى هذا القصر ؟ "

الخطاف : " جميعنا مراقبون فى هذه الدنيا "

عمر يهم بالتحدث فيستطرد الخطاف : " قبل أن تنطق بحرف إعلم أن من الجن من يقطن ها هنا معنا ولا يسكت عن الكذب أبدا وسيؤذيك إذا تحدثت بغير الصدق ".

عمر : " ما أريده هنا هو العدل إذا كنت من تدعى ما أنت عليه وإذا كان كل ما علمته صحيحا فأنا أريد العدل ".

الخطاف : " رازديجان الأن تحضُر أمامنا ماريانا ".

رازديجان : " الأمر أمرك يا ولى الأمر ".

الخطاف : " ستكون أمك هنا عما قريب إذا أتيت من أجل العدل ستراه يا بنى لا تقلق ".

عمر : " لم أت إلى هنا لأراه ولكننى أتيت لأجده".

الخطاف : " ستجده والأن حدثنى عن العالم بالخارج حدثنى كيف يعيش الناس بهذا العالم "

عمر : " الناس مفككون لدرجة تجعلهم لا يخجلوا من أكل لحوم بعضهم البعض ومن يخجل من أكل اللحوم يأخذ العظام ليبحث عمن يشتريها ومن يعجز عن بيعها يحتفظ بها لتذكره بكم البؤس الذى وصل إليه العالم والناس يبتدعون كل البدع لينالوا ما لم يستحقوه ليس هذا فقط ولكن ليحاولوا إثبات أنهم إستحقوه عن جداره .

" فى عالمنا يتخلى عنك كثير من أصدقائك ويقف بجانبك ألد أعدائك ويخونك من تعودت منهم الصدق ويصدقك من يمتهنون الكذب ويتركك من تعتقد أنهم

سيظلوا بجانبك وتحب من كنت تكرههم وتكره أشد من أحببت ولا تفكر إلا فى نيل ما لن تستطيع أن تجده فى أحلامك ".

كان خيرا لك أنك إبتعدت عن هذا العالم .

الخطاف : " تحمل داخلك الكثير"

عمر: " وستحمل منه أكثر إذا كنت قتلت أبى ".

الخطاف : " ماذا لو كان قد هرب مع أمك منذ زمن ماذا لو كان قد هرب مع أمك منذ زمن ماذا لو كان حيا إلى لحظتنا هذه ؟ "

عمر : " إذن سأقتله أنا "

الخطاف : " هل وجدت الكتاب "

عمر : " لا لقد وجدنى هو ومازلت أقرأ فيه ".

الخطاف وقد بدا فى حركته القلق عندما قام من مكانه قائلا :

" لا تقلق ليس كل ما بالكتاب حقيقيا "

عمر : " ليس هذا ما يقلقنى حقا إن ما يقلقنى هو إن كان رازديجان يحمى القصر وملك الخطاف الذى لا يدخله إلا نسل الخطاف فقط كيف لتلك الشابه بالخارج أن تدخل القصر ولم تحترق حتى الأن ".

الخطاف : " إنه ملكى وأنا أفعل فيه ما أريد ".

عمر : " وإن كان كذلك لماذا أرسلت رازديجان بعيدا هذه المره لتُدخل إلى القصر أحدا أخر ".

الخطاف : " تُرى من ستُدخل إلى القصر هذه المره يا أبى العزيز ".

ينظر عمر إلى يمينه فيجد أفعى عملاقه تحاول بخ سمها بوجهه فأغلق عينيه وتمتم ببعض الطلاسم وبعدها فتح عينيه قائلا :-

" أنت حقا لم تعرف أننى أنهيت الكتاب كله ".

عمر : " أنت لا تشبه الخطاف ذلك المكياج والعجز الذى تظهر فيه لن يجعلك مثل أبيك أبدا لطالما قلت عنك أنك فنان فاشل بكل المقاييس نحتك ولوحاتك ومكياجك أيضا "

وينزل عمر عن كرسيه متجها لأعلى قائلا :

" سأنتظر قدوم ماريانا ".

الخطاف : " أيها الأحمق أنت لا تصدق أننى الخطاف وإن إقتلعتك من مكانك ".

عمر : " لا لست مثله أنت منصور الخطاف الإبن الفاسد "

الخطاف : " إلى من تتحدث أيها الجاهل "

ينطقها بصوت جهير يهز أرجاء القصر لينظر عمر حوله بكافة أرجاء القصر ليجد كافة الجن وقد أظهروا أنفسهم ليتحول القصر وكأنه ساحة معركة إمتلأت بالجنود فى كل مكان .

لقد رأى أشكالهم التى لا تُنسى تلك التى تذهب من رؤيتها العيون.

منصور الخطاف : " بكلمة واحدة أستطيع أن أمحيك ".

عمر : " إذن قلها ولا تخف قلها إن كنت تجرؤ أنك أنت (على الخطاف) صاحب هذا الملك والأمر الأوحد لكل هؤلاء ومثلهم أضعاف .

منصور الخطاف : " إذن لا يفيد تنكرى شيئا أنا لست هو ".

عمر : " أنت الإبن الفاسد والأب الضائع أنت سبب وجودى هنا أيها المخادع ولكن لم يكن الخطاف هنا فأين هو ؟ ".

منصور الخطاف : " لا تخف قد تراه قريبا خذوه لأسفل "

ينطقها لتكبل بعدها يدى (عمر) بأغلال طويله ويسوقه عملاقان إلى حيث لا يعلم إلى أن وجد نفسه مستقرا بزنزانه تقبع تحت قبة القصر تبعد عن الأرض بمئات الأقدام .

المكان حوله يبدو كما لو كان من العصر الحجرى عتيق الطراز تملأه النقوش الغريبه كتلك الموجوده على خاتمه .

الأقفال التى تكبل يديه معقوفه تملأها الرسوم والطلاسم.

المكان لا ينيره إلا قبة القصر التى تدخل ضوءا خافتا إلى هذا العمق من سطح الأرض.

لا يستطيع التحدث بعد الأن تجمدت الكلمات بين شفتيه وجلس موضع قدميه نادما على حياته التى إنقضت بين يديه .

ذكرياته التى تناثرت أمام عينيه ذلك الأمل الذى لم يعد لديه.

من وسط الظلام تتصاعد ضحكات شيخ كبير متقطعه تعلو تدريجيا إلى أن تنقطع .

يبحث عنه عمر بعينيه فلا يجد شيئا ولا يستطيع الرؤية بهذا الظلام إلى أن تحرك الشيخ إلى بقعه قريبه من الضوء.

ليبدو شبيها بالمسخ الموجود بالأعلى ويتحدث قائلا :" مرحبا يا حفيدى العزيز أرى أنك قابلت والدك أخيرا".

عمر : " مرحبا بمصدر اللعنات وكافة الأفات

ألم تمت بعد أيها الخطاف لماذا تركك إبنك هنا مكبلا إلى هذا الوقت لماذا لم يقتلك حتى الأن فإبن كهذا يجب أن يكون لديه أب مثلك".

على الخطاف : " ولو أنى متحفظ على كلماتك هذه ولكن هل يجب أن يكون لإبن مثلك أب كهذا "

" لم تعلم شئ بعد يا حفيدى العزيز "

عمر : " أعلم ماذا ؟ "

على الخطاف : " لماذا اتى بك أبيك إلى هنا ولماذا ستحضر أمك أيضا ؟ ".

عمر : " هذا ما ستخبرنى به ".

على الخطاف : " أراد أبيك التخلص منى فإستعان بالسحره والأعمال الشيطانيه ليمتلك القوة والسلطه كان مجنونا ومازال لقد أراد كل شئ ".

عمر : " وأنت تركته يفعل كل ذلك "

على الخطاف : " حسنا لقد كبرت على كل ذلك فأحلت الأمر كله لك كما أننى بإنتظار ماريانا ".

عمر : " لماذا هى ولماذا الأن ؟ "

على الخطاف : " ترغب فى القصاص لأمها ليلانا ".

عمر : " وأنت "

على الخطاف : " أنا تطوعت بالانتظار فما سيحدث مشوقا جدا ولكن يؤسفنى أننى لن أحضر الكثير منه "

عمر " بعد ان قتلت ليلانا وهرب إبنك مع ماريانا ماذا حدث بعد ذلك ؟ "

على الخطاف : " علمت بما تحمله ماريانا داخلها فتركتها تذهب وكنت على يقين بأنها ستعود وعندها سميتك بإسمى حتى تتذكرنى كلما تنظر إليك ".

عمر: " لماذا تركتها تذهب ؟ ".

على الخطاف : " لست بالأب الذى يقتل إبنه أو حفيده "

عمر : " وبعد أن وضعت لماذا تركتها ؟ "

على الخطاف : " لم أحب أن تحيا وتربى بلا أم "

عمر : " لم تكن أما أبدا ولكن ماذا عن أختى الصغرى ؟ "

على الخطاف : " طفلة يتيمة أتت بها لتضفى جوا من العائليه إلى حياتك أرادت ألا تترك لك مجالا للشك ".

(ولكن حدثنى ماذا تذكر من طفولتك ؟ ماذا تذكر قبل سنوات من الأن ؟).

عمر: " لا أذكر الكثير صورتها من الطفوله وصورة معلقة لأبى وبعض المنحوته الغبية ولا أتذكر شيئا قبل أن رأيت أختى الصغرى "

على الخطاف : " ذلك لأنها غيبت وعيك وجعلتك حبيس عقلك لسنوات ".

عمر : " ماذا يعنى ذلك "

على الخطاف : " مافعلته بك لا يختلف كثيرا عن تجميد الفاكهه حتى لا تفسد يمكن أن تعتبر أنك كنت مجمدا بصوره ما ".

عمر : " لا أصدق " .

على الخطاف بضحكات متقطعه : " لا تملك إلا أن تصدق يا حفيدى العزيز " .

عمر : " إذا لماذا أتوا بى إلى هنا وكيف سمح لهم الجان بالاستيلاء على القصر ؟ ".

على الخطاف : " عندما طردت والدك كنت أعلم بعناده وأنه سيعاود الكره مره أخرى لذا عندما حاول مرة أخرى وساعده الأشعث والكثير ممن هنا سمحت لهم بذلك والجن كالعاده تحكمهم الأنانيه وتفضيل النفس والمقارنه فى كل شئ ففضلوا مصلحتهم وعقدوا معه هدنه بألا يمسوه وألا يمسهم بالقصر وكان أول شروطه أن يبقى كل شئ فى الماضى أراد حرق الكتاب ولكن شاهجهان أخفاه ومات مدافعا عن الأسرار بينما رازديجان لم يجد إلا أن يحمى القصر ويستمر فى عهده لى "

(كل هذا لم يكن ليحدث إذا لم اسمح بذلك الحكاية كلها تتلخص بأننى لنت لهم لتتمكن أنت من حكمهم بعد ذلك).

عمر : " ولكننى رأيت إمرأه شابة هنا كيف دخلت ؟ ومن تكون؟".

على الخطاف :" تلك الجميله هى من قتلت شاهجهان وحرقته أمام الجميع دخلت عندما أرسلت رازديجان ونفيته إلى سابع أرض عندما علمت أنه تواطأ مع إبنى ".

عمر : " ولماذا عاد ؟ ".

على الخطاف : " عاد لأننى أمرت بذلك كان على ان اجعله يعيش بذنب ما حدث لشاهجهان للأبد كان على أن أجعله يحيا بذلك ".

عمر : " ولكن كيف أمرت وأنت هنا بالسجن مكبلا بالحديد من كل جانب !! "

على الخطاف ضاحكا : " وهل تظن ذلك حقا إذن لماذا أنا هنا "

ينظر عمر بجانبه ليجد على الخطاف يتجول حوله بحرية ويربت على كتفه قائلا : " لم تعد صغيرا بعد الأن يا عمر ولو أنى أفضل أن أناديك بما سميتك به ولكننى سأناديك بما يحلو لك إلى أن تنطق أنت إسمك".

عمر : " إذن بعد كل ذلك ماذا الأن أنت إنتظرت الكثير

لماذا تركتهم يفعلون ذلك مع انك لديك القوة لتغلبهم ؟

على الخطاف : " لقد إنتظرت لسنوات إنتظرتك لتكبر لأورثك حكمى وملكى .

والدك يستطيع البقاء هنا كيف شاء ولكنه لن يستطيع تغيير أى شئ لأنك وريثى الوحيد "

عمر : " وماذا يعنى ذلك ؟ "

على الخطاف : " أنه يحتاج إليك ليرث كل شئ ولذلك أتى بك إلى هنا "

عمر : " ولكنه لن يرثنى "

على الخطاف : " لذلك سيفكر فى أن يجعل لك وريثا زوجة مثلا ".

على الخطاف : " هو محرم عليه أن يرثنى أو ان يرثك ولكن ليس محرم عليه أن يرث ورثتك لذلك أتى بك إلى هنا

إحذر من كل شئ هنا ولا تثق بأى كان

هنا ثق بنفسك فقط تلك الثقة التى لو فقدتها ستفقد حياتك معها وتفقد كل شئ "

عمر : " ولكن ماذا أفعل أنا بين هؤلاء بين الإنس والجن أنا أضعف من ذلك أنا أضعف شئ هنا ".

على الخطاف : " أشك بذلك أنت حفيد على الخطاف أنت الخطاف الجديد ووارث الملك حكمك سيستمر بعضا من الزمان إبحث عن عصاى واسترد ملكك "

عمر : " ماذا عنك أنت ؟ "

على الخطاف : " لقد كبرت وختيرت على ذلك

لقد حكمت من الزمان ما حكمت وجئت وأتيت هنا وهناك وإكتفيت من كل ذلك

تذكر كلماتى فلن ترانى بعد الأن "

عمر : " وأين ستكون لم تخبرنى اين أجد العصا وأين أجدك ".

على الخطاف : " إتبع الطريق ولن تضل ".

عمر : " ولكن إلى متى ستظل معى هنا ؟ "

على الخطاف : " وما أدراك أننى هنا أصلا ؟"

وتصدر ضحكات متتاليه ينخفض صوتها تدريجيا إلى أن يختفى

يستفيق بعدها عمر المكبل بالحديد بزنزانته يتصبب عرقا عطشا يحاول أن يتحرك

إلى أن يدرك ألم القيود التى كُبلت بها يديه وقدميه .

يتفقد ما حوله فلا يجد شئ

لا يرى سوى بصيص الضوء الذى يأتى من أعلى.

فكر كثيرا فى كلام على الخطاف هل هو حقيقة أم أنها أضغاث أحلام تداعت إليه من هول ما يرى فى تلك الأيام .

لم يعد سهلا التفريق بين الحقيقه والخيال .

ربما كان هو نفسه خيالا أيضا هذا ما ظنه كم هو صعب أن يتمنى الإنسان ألا يكون حقيقيا كم هو صعب تمنيه أن لو كان ظلا لشخص ما .

يمر الوقت ببطء إلى أن أتى الليل والهدوء يسود المكان كما لو أن عاما قد مر .

" عمر لماذا أنت هنا "

" لورا أنا قادم لقد طالت غيبتى ولكنى سأعود "

" سأنتظرك يا عشقى "

نطقها طيف حبيبته لورا إلى أن أستفاق من حلمه

قبل إنتهاء الليل بقليل وقبل بزوغ الفجر سمع عمر صوت أقدام تنزل ببطء شديد على السلالم لدرجة لا تدرك أو ينتبه إليها وكأن الهواء يتحرك .

لم يعرف عمر أن هناك من ينزل بالجوار إلا من تتابع صوت الهواء ذلك الصوت الذى إختفى ليسود بعدها الهدوء لفتره.

يحاول جاهدا إكتشاف ذلك الخفى ولكن بلا فائده .

هز الأغلال ليعلن عن وجوده ولكن دون جدوى فأغمض عينيه وأخفض رأسه وإستسلم لما ظنه هلاوس تراوده أو بعض من أضغاث احلامه

إلى أن اشتعل عود ثقاب فجأة أمام عينيه فجاة إلى ان ابعده صاحب عود الثقاب لا لينير المكان فقط ولكن لينير قلبه برؤياها تلك الفتاة فائقة الجمال التى رأها بالأعلى

إنها سيرينا

لو أن هناك بهذا الكون من أجمل منها فهن الحور العين

جمالها لا يوصف دخلت القصر عندما تمرد إبن الخطاف أدخلتها ماريانا ولما لا وهى زوجة إبن الخطاف .

عمر : " عيناى إنتبهى "

سيرينا : " عذرا "

ينطفئ عود الثقاب فتشعل أخر ولكن هذه المره بعيدا عن عينيه قليلا .

عمر : " من أنتى ؟ لقد رأيتك أكثر من مره "

سيرينا : " أنا قدرك الذى لن تهرب منه "

عمر : " لماذا أنت هنا ؟ "

سيرينا : " ليس لدينا وقت سأخبرك بكل شئ ولكن الأن يجب أن تهرب "

عمر : " كيف ذلك ؟ "

سيرينا : " سأساعدك إرحل قبل أن يدرى أحد إرحل فقد جنوا عليك إرحل فبرحيلك ينتهى كل شئ عد إلى حيث أتيت "

عمر : " ليس قبل أن أسمع منك كل شئ "

سيرينا : " سأخبرك بكل شئ بعد أن نخرج من هنا ".

تحاول فك الأصفاد وتتحسسها الواحد تلو الأخر فيُفتح كل واحد منها تلقائيا بمجرد أن تضع يدها عليه

إلى أن انتهت وتعطيه علبة الثقاب وتهمس بقربه قائلة

" أشعله وإبحث عن نصف حجر فى تلك الجدران "

يشعل عود ثقاب ويبحث لأعلى ولأسفل قائلا

" أنا لا أره هل ترينه "

سيرينا : " أنا لا أرى "

نظر إليها فى ذهول هذه المره وتعجب أن لا شئ يحول بين الجمال والظلام فالكثير يدرك الجمال ولكنه لا يعلم شيئا عن الظلام ".

ويعاود البحث مرة أخرى مسرعا بعد أن سمع أصواتا تنطلق من أعلى إلى أن وجد النصف حجر

فهمس قائلا : " وجدته "

قالت : " الأن إنزعه وضع خاتمك فى مكانه ستجد مكان مخصصا له "

ففعل ما قالت فإذا بسرداب يفتح لأسفل

فأمسك يدها ونزلا بسرعه على السلالم التى بدأت تضئ من تلقاء نفسها بعد أن أغلق باب السرداب من أعلى .

فجلس على أخر سلمه وقال :

" لقد إكتفيت من كل ذلك لا أعلم أى شئ يوم دخلت هذا القصر لم أجد إلا التعاسه والجنون جد مجنون بالعظمه وأب مجنون بالسلطه وأم مجنونة بالإنتقام وأنا الذى جننت بكل ذلك ".

ترى أى جنون لديك أنتى الأخرى

سيرينا : " السحر هذا هو جنونى "

عمر :

" إذن لا أحد يعيش بدون الجنون الخاص به كل منا لديه الجنون الذى يحميه ويخاف عليه من كل شئ ويحيا لأجله فقط"

سيرينا : " إذا أردت أن ينتهى كل ذلك إهرب من هنا ولا تعد أبدا "

عمر : " ليس قبل أن تجيبى على أسئلتى "

سيرينا : " نعم أنا من قتلت شاهجهان حافظ الأسرار عندما ذهب رازديجان حامى القصر ".

يصمت لبرهه فتُكمل قائلة : " نعم إنه أنا تلك التعيسه التى لم تكتفى بشئ من هذه الدنيا لقد عُميت من الطمع أعمتنى ماريانا أمك بعد أن أغوتنى بالألماس يوم أن قتلت شاهجهان أهدتنى عقدا مرصعا بالألماس بعد أن ألقت تعويذه عليه "

(تُعمى من ترتديها إلى أن تتزوجك أنت)"

عمر : " تزداد هذه الحياة غرابة وبؤس يوما بعد يوم "

سيرينا : " فعلت هذا لتضمن ولائى فأنا حبيسة هذا القصر لا أخرج منه إلا بأمر رازديجان الذى أخذ عليه منصور الخطاف عهدا ألا يمسنى فوافق على ذلك ولكنه اشترط أن أبقى طول عمرى بهذا القصر إلى أن أموت إنتقاما منه لموت شاهجهان لأنه كان صديقه المقرب .

فى النهاية أصبحت أنا العمياء المحبوسه "

عمر : " وما الذى تستفيده ماريانا بهذا الأمر "

سيرينا : " الخطاف جعلك وريثه الوحيد لا أحد يرثه غيرك ولا يتحكم فى ملكه سواك

أنت وحدك من تأمر وتُطاع بهذا القصر "

عمر : " ولكن منصور ؟؟ "

سيرينا:" يطيعك منن يعصاه حتى لو أمسك عصاه ".

عمر : " وما الذى تخطط إليه ماريانا بعد زواجى "

سيرينا : " تقتلك وبذلك أصبح أنا وريثتك الوحيدة لأن هذا الإرث محرم عليهم "

عمر : " قصة جميله ماذا عن الخاتم ؟ "

سيرينا : " منحك الخطاف إياه يوم ولادتك ويحترق من يلبسه سواك " .

عمر : " لماذا ساعدتنى ؟ ولماذا أخبرتنى بكل ذلك ؟ "

سيرينا : " لا يُضاء النور إلا فى الظلام وقد عشت بالظلام كثيرا

الخاتم ليس به قوة أو شئ خارق إنه فقط يسمح للطريق بأن يضئ

عليك فقط أن تؤمن بقوتك وأن تحاول رؤية ما خفى عن عيناك عندها ستُطاع والجميع هنا سيلزم الأمر والإستماع ".

بدأ عمر يتحرك تدريجيا إلى الأمام داخل السرداب ممسكا يد سيرينا والمكان يضاء تلقائيا.

يتحرك ببطءولكن خوفه الداخلى يعلو أى خوف يقابله

إلى أن وجد على مايبدو هيكلا عظميا لرجل جالس يتكئ على عصاه .

نظر إليه عمر وفهم ألا أحد يكون بهذا المكان سوى جده على الخطاف

عرف أنه هو الخطاف الحقيقى وليس ذلك المزيف بالأعلى

حدثته سيرينا : " ماذا ترى ؟؟ "

عمر : " إنه هو "

سيرينا : " من ؟ "

عمر : " صاحب القصر "

سيرينا : " لا أستطيع سماع أنفاسه "

عمر : " بالطبع تعلمين ماذا يعنى ذلك "

سيرينا : " لقد وصلت متأخرا "

عمر : " مات وترك كل شئ "

بعد أن دمعت عيناه

" أنا لا أعلم لماذا لم يأخذ هذا القصر معه لماذا لم يأخذ ملكه ويعطينى مكانهما أبا وأما حقيقيين "

سيرينا : " هذا هو الحال الجميع يرحل وحيدا دون وداع ولا يعلم أحد متى سيرحل لسنا سوى بنى الراحلين "

عمر : " رحل وكل من كانوا يأتمرون بأمره يصولون ويجولون فى ملكه ويرعبوننى بما فعلوا وأبقونى فى الظلام لفتره

(لقد خانوه لدرجة أنه أراد البقاء وحيدا , خانوه فلم يفعل لهم شيئا , ولم يخبرهم بأى شئ , كل ما فعله انه تركهم ورحل)

سيرينا : " عليك أن تتجاوز هذا بسرعه سيصلون هنا بأى لحظة علينا أن نرحل خذ عصاه وإبحث لنا عن مخرج من هنا "

أخذ العصا المعقوفه غريبة الشكل التى قرأ عنها فى الكتاب سابقا

عمر : " إنها حقيقيه بكل ما فيها جسد الأفعى ورأس الذئب والطلاسم التى تملأها "

بمجرد أن لمستها يده أحس عمر بأصوات تدب حوله أصبح مدركا للكثير يشعر بكل كائن حى حوله تقريبا

يستطيع سماع الجن بالأعلى وصراخ ماريانا التى تطالبهم بالبحث عنه .

وحديث رازديجان مع منصور الخطاف والذى جاء فيه

منصور الخطاف :" لقد أوشك ذلك على الإنتهاء سترحلون كما وعدتك "

رازديجان : " دون أى وعود أو عهود "

منصور الخطاف : " أنا لست أبى الذى إحتميتم به ثم خدعتوه أعتقد أنه لم يعاقبكم بالحبس الأبدى هنا من فراغ "

رازديجان : " دعنا من الماضى وإعطنى كلمتك الأن كما قلت لك دون عهود أو وعود "

منصور الخطاف : " لكم ذلك ما إن أجد العصا وأرث كل شئ سيتم لكم ذلك ولكن جدوا ذلك اللعين قبل أن يضع يده عليها "

رازديجان : " إبنك يحمل الكثير من أبيك لدرجة أننى فى بعض الأحيان لا أستطيع التفريق بين كلامهما "

منصور الخطاف : " إذن لن تكون هناك مشكله بأن تفعلوا معه ما فعلتم مع أبى أليس كذلك ؟ "

رازديجان : " بالطبع إلا إن وجد العصا وضرب بها الأرض وتحدث بما تمليه عليه من الطلاسم

عندها فقط تجب طاعته من الكل ".

منصور الخطاف : " كيف وجدته ؟ "

رازديجان : " قويا لكنه مازال خائفا "

منصور الخطاف : " سأخلصه من خوفه "

رازديجان : " ولو أنى أمتلك من القلوب واحدا لسألتك فى الخفاء أى البشر أنت ؟ "

منصور الخطاف : " إنه من الجيد أنك لا تملك واحدا والأن أحضره لى بأسرع ما يمكنك"

سمع عمر الحوار كاملا فأخفى العصا فى ملابسه وامسك يد سيرينا

عمر : " لقد وجدت المخرج من هنا هيا بنا "

فُتح باب صغير يقود لأعلى

أغمض عينيه من شدة ضوء النهار وأخرج سيرينا من السرداب وأغلق الباب وإلتف فوجد رازديجان وراءه على هيئته الحقيقيه ومعه ويقف بجواره الأشعث وصاحبه الذى أتيا به من منزله من قبل وكأن الثلاثه ظهروا من العدم .

سيرينا : "دورى إنتهى إلى هنا الأن هو طريقك وحدك إفعل ما تنويه "

وما أن رأها صاحب الأشعث حتى تغيرت هياته واحمرت عيناه واخرج سيفا قطع به رأس سيرينا تطاير معه العقد الملعوت الذى كانت ترتديه فى مشهد دموى مخيف

تطاير الدم على وجه عمر وملابسه وما إن لامس الدم العصا توهجت حاول الموجودين أثناء ذلك الإمساك بعمر ولكنه أمسكها بسرعه وضرب بها الأرض ووجد نفسه يتحدث بالطلاسم " كانمرا ديربالام أشطيغان يزبادوم أم نبرام قم لدعوانا نقم إستبرام بسور الإمام وكل الهمام جاش ملكور أن تعنام أخرج كل دغرام كشط على جلد اژدرماروإقرأ من وصايا پدر بزرگ ونفذ فى قبر نام وإنشر بتوثام كل قبر وجومجام و شما را دعوت گور مارک باقى مانده از جمجمه و مارها شما در دهان عقاب دعوت اميد به سلطنتى "

لم يتحدث بتلك الطلاسم من قبل ولا يعلم ما قال وجاءت الكلمات ليسمعها كل من فى ملك الخطاف وخارجه من البقاع جاء فى مجمله وترتيبه الأتى

" بزمانى أنا والحاضرين من بعدى أتسلم إرثى وعرشى وكل ما فوق وتحت أرضى وألزم عهد جدى وأحافظ عليه لمن بعدى ووجبت الطاعة على كل من حضر عهدى وكل من ليس عندى

من كان فى أمرتنا فهو أمن ومن يفكر فى أن ينقصنا فهو هالك ويحضره ظلام هالك

أطيعون وإلا أورثتكم القبور وحبستكم فين عيون الجماجم ووضعتكم بسم الافاعى وغرستكم بين مخالب الصقور وجعلتكم بين أنياب الذئاب

أطيعوا أمرنا تأمنوا عذابنا وعندما أنادى تحضروا أمامنا والخاتم بإصبعى والعصا بيدى من أراد شقاءا فليكن هو المبتدى ".

عندها تراجع الموجودون للخلف خطوة وأسندوا أذانهم إلى الأرض يسمعون كلام من يتسلم عرشه أما الأشعث وذلك الجنى الذى يرافقه فقد هربوا خارج القصر بعد أن سمح لهم رازديجان بذلك وهرب هو الأخر لخيانته .

إنطلق عمر إلى مدخل القصر الأمامى وفتح الأبواب بعصاه يمشى بهدوء والجميع ينحنى خوفا وإعلانا للطاعه العمياء لمولانا الخطاف بعد أن هرب أقوى من كان منهم بالقصر.

إنطلق إلى أبيه بعد أن طرحه ونزع منه عصاه وثبته أرضا وأمر إثنان من الجن فأنزلا به من العذاب ألوانا.

كل هذا أثناء مشاهدة ماريانا التى لم يكن بها إلا أن أخذت تلقى بتعاويذها عليه بصوت خافت تحاول ان تؤذيه ليبتعد عن منصور الخطاف فإستدار إليها بعد أن إنتهى منه ونظر إليها وأخذ يردد معها ما تبقى من التعويذه ويسبقها بالحروف والتماتم .

يسبق حرفه حرفها ويعلو صوته عنها وعندما إنتهت حدثها قائلا :"ها أنت قد أتممت تعويذتك الغاليه التى غيبتنى لسنوات يا أمى العزيزة ولكن ماذا حدث للأسف ليست قويه بما فيه الكفايه عليك أن تبذلى جهدا أفضل من ذلك حقا لقد أضعفتك السنين ".

ليقترب منها وهى تقف دون حراك ويحدثها :-

" أنا لست غاضبا منك فقد علمتنى الكثير مما لن أستغنى عنه لهذا ستظلين هنا بهذا القصر "

يعانقها ويقبل رأسها ولهذا أحضرت لك هديه غاليه ستعجبك وعندها طوق رقبتها بعقد مذهل ليس له مثيل

عندما نظرت إليه ألفته

ماريانا :" لقد رأيت هذا العقد من قبل "

عمر :" بالطبع إنه عقد سيرينا الملعون"

ليرددان معا فى نفس اللحظة

(من ترتديه لن ترى عيناها النور حتى تتزوج عمر الخطاف)

وتصدر منها صرخه تدوى فى أرجاء القصر وتجرى بجنون تتخبط فى كل شئ حولها بعد أن أصبحت عمياء

عمر : " بالطبع ستظلين هكذا إلى الممات ".

تبكى بعد أن إبتعدت قائلة : " ما زلت أمك "

لتجد همسا بأذنها فى نفس اللحظة

" يجب أن يكون العقاب بنفس قبح المعصيه "

يضرب عمر الأرض مستحضرا (مازر) الجنى الوحيد الذى ظل حافظا العهد .

ليحضر مازر قائلا " أمر مولانا "

عمر : " رازديجان مكبلا بحديد من نار أمامى الأن وتنزل به من العذاب قبل أن يخضع أمامى هاهنا.

مازر : " من أمر مولانا ننفذ برؤياه خطانا ".

كل هذا ومنصور الخطاف مكبلا بالسلاسل ويقاوم عذابه ولكن دون جدوى .

نظر إليه عمر قائلا : " أما أنت فبئس الإبن وبئس الأب

ستحصد عدلنا حتى لو كنت من دمنا ".

منصور الخطاف : " ماذا ستفعل بى ؟ يا سارق ملك أبيك ".

عمر : " ستبدو الجملة أحلى لو استمعت إليها أنت ولكن إنتظر يا عزيزى لا تتعجل عقابك لأنه مهما فعلت سينالك ستتمنى الموت ولا تجده ستكون التعاسه أفضل أمانيك مما سأفعله بك ".

فجأة. إهتزت أرجاء القصر بعد أن سقط فى منتصفه شئ وكأنه وحشا ضخما سقط من السماء (رازديجان) مغللا بالسلاسل التى توهجت من إحمرار النار بها .

عمر ملتفتا إلى منصور الخطاف قائلا : "من حكمنا عدل يفوق إنتقامنا أمرنا بك لتوضع موضع أبيك حتى تلقى نفس مصيره أو ما هو أسوأ منه لتعلم ما قد فعلت

لتشعر بالعدل ملتفا حول رقبتك ولتجرب مرارة الخذلان لعلك تجد أنك خذلت كل من حولك ولم يبق لك شيئا حتى إسمك لن ينطقه بشر بعد اليوم ولن تذكر إلا فى الظلمات إن ذُكرت خذوه بعيدا ".

فسُحل أرضا إلى أن وُضع موضع أبيه وأُغلق عليه وبُنى فوقه بنيانا لا يسمع من تحته صوته ووضعت

الجدران أضعافا من كل جانب بحيث لا يصل إليه من البشر أحد.

عمر : " أما أنت يا رازديجان فأنت مصيبة جدى الكبرى فقد خنته ولم تحافظ على عهدك معه ولهذا أرسلت إليك أعز أصدقائك ليأتى بك على أمرنا ".

رازديجان : " مولانا حضرتك خائفا وتركتك ضعيفا وجئتك الأن مخيفا أجد شرا بعينيك لم أراه من قبل أرى إرث جدك فيك وذكرياته التى تطغى على ماضيك فإفعل ما تنوى نلبيك ".

عمر : " لم أأذن لك بالحديث قولا واليوم لن يشفع لك أحدا

ستجد العذاب فردا وإلا نزلت بك أرضا ".

رازديجان : " أخبرنا عنك السائر المجنون ساحر العيون ".

عمر : " أمرنا بك أن تظل بهذا القصر لا يُكتب لك راحه ولا تخرج فى ساحه وألا تنطق فى باحه لأى مخلوق كان

أمرنا بك أن تخرس إلى أن تموت وألا حرقك صديقك الودود وإن عصى نكرمه بأخدود ".

مازر : " طاعة مولانا شرف وحده كفانا ".

عمر : " بعد أن علم كل محياه فليذهب القاصى والدانى إلى مرساه" ثم ضرب الأرض بعصاه فتغير حالها وتبدل وعادت إلى حداثة عهدها وأصبح القصر كما لو كان بنى حديثا .

لا يُسمع به صوت ولا يُرى به إلا كل ساكن.

يضرب ثلاث ضربات بعصاه على الأرض على فترات زمنيه متساويه ليسمع شيئا يحدث بين أهل البلدة .

صوت الأشعث الذى يصرخ بين مجموعه من السحره والجان الذين سال لعابهم مرة أخرى على ملك الخطاف يخططون لدخول القصر بعد أن أخبرهم الأشعث بموت الخطاف وأنه لا يوجد من يحمى القصر .

لم يصدقوه فى بادئ الأمر إلى أن أقنعهم بأنه لا يوجد بالقصر من يقوى على حمل عصا الخطاف وأنها تنتظر من يقوى عليها ليسيطر على من فى القصر ويحكم فى ملك الخطاف .

عندها تحركوا جميعا إلى قصر الخطاف

وقد أمر مولانا بوضع خطافان جديدان يلمعان على باب القصر .

وعندما أتى أهل البلده إلى قصر الخطاف وقفوا أمامه ووجدوا عمر الخطاف يقف خارج أبواب القصر يقف حائلا بينهم مرتديا من الثياب ما فيه مهابه ممسكا عصا جده مغمضا عينيه إلى أن اقترب سحرة البلدة ومعهم الأشعث وصاحبه الجن الأسود.

وما إن رأوا الخطافين يلمعان حتى ترددوا فيما جاءوا من أجله خاصة بعد أن وجدوا بيده عصا الخطاف وما إن هم أحدهم بالكلام نظر إليه مولانا ولم ينطق بحرف .

عندها أدار مولانا وجهه وعاد إلى القصر ولم ينظر خلفه قط

عندها فقط قطع أهل البلدة رأس الأشعث وتركوه جسدا بلا رأس ورحلوا .

جلس مولانا محدثا نفسه قائلا :"عجبا لهذه الحياة كل العجب لطالما ظننت أنى أعلم كل شئ فى هذه الدنيا ولكننى تبينت أننى لا شئ ولا أعرف أى شئ

طمعت فيما لا أستحقه وإرث ظننت أنه خير لى وجئت لأنتقم من صاحبه لأجدنى أقف مكانه وأفعل ما كان يريده قبل وفاته وأولئك الذين ظننت أنهم الأخيار هم الأكثر شرا من أى ممن عرفت .

لا عيش لى هنا فى هذا المكان فهو جنة للعيون ومقبرة للقلوب ومتاهة للعقول ولا أريد أن تعبث بعقلى أكثر من ذلك

كما أننى أريد الأحتفاظ بقلبى لمن يستحقه .

إشتقت لأختى التى تركتها أمى للجيران وأتت تبحث عن إنتقامها

إشتقت لحبيبتى التى لا أعلم عنها شئ منذ جئت إلى هنا

لا أريدها أن تنتظر أكثر من ذلك" .

مازر : " مولانا"

عمر : " تحدث وإقتصد "

مازر : " ما الذى تنوى فعله بعد ذلك ؟ "

عمر : " تجاوزت الحدود هل تريد مصير صديقك النمرود ؟ "

مازر : " عذرا مولانا لكن جدك حملنى رسالة لك ولن أتحدث بها إلا عندما أعلم ما ستفعله بعد ذلك هكذا أمرنى ".

عمر : " ليس لى حياة هنا سأعود إلى حيث أتيت ".

مازر :" لقد أخذت ما هو ملكى حقا يشير إلى عصاه وخاتمه"

مازر : " ولكن "

يقاطعه عمر قائلا :" لا أريد شيئا أخر هل تعلم ما الذى تحمله هذه العصا ؟ "

مازر : " تحمل قوى الشر داخلها صنعها جدك بها سحر عظيم تحكم على صاحبها وتتحكم به قبل أن تجعله يتحكم بكل شئ حوله ".

عمر : " بعض مما قلته صحيح ولكن قوتها الحقيقية تكمن فى أنها تحمل ذكريات صاحبها وماضيه وتحمل العصا الذكريات أينما تذهب .

ما إن أمسكتها حتى حضرتنى ذكريات جدى وحياته وما فعله وما عانى منه فى حياته كل شئ مر به الوقات العصيبه وخذلان إبنه له كل شئ تحمله العصا .

ما إن يمسكها صاحبها حتى يتطاير منها غبار الذكريات إليه تعطيه ماضيها وتأخذ كل حاضره وماضيه ليصبح طبقة تتكون على العصا يتطاير فيما بعد لصاحبها الجديد "

مازر : " أنا لا أعلم كيف صنعها جدك ولكن حتما هناك سبب جعله يفعل ذلك ".

عمر : " العجيب أن جدى ليس صانعها "

مازر : " ولكن من فعلها وكيف حصل عليها جدك ؟"

عمر : " مازلت تطرح الأسئلة ؟ ".

مازر :"عذرا مولانا ولكن أنت تعنى أن هذه العصا لا تحمل إلا الذكريات ؟"

عمر : "إن كنت تستطيع تحملها أو بمعنى أصح حملها ".

مازر :" مازلت مصرا على الرحيل ؟ "

عمر : " بالطبع "

مازر : "وتترك هذه الجنه ؟ "

عمر : " إذن ليس البشر وحدهم من تخدعهم المظاهر

إنظر إلى كل ما هو جميل حولك وأخبرنى بعد أن عاش جدى بها لسنوات طويله كيف مات ؟"

مازر : " مات وحيدا فى قبو مظلم متخفيا من إبنه الذى أراد تلك الجنه "

عمر : "إن أفة هذه الجنه تكمن فى قربها من الجحيم لدرجة أنك لا تستطيع التفريق بينهما ".

مازر : " أخبرنى مولانا جدك الخطاف إن قابلت وريثه ووجدت منه رشدا أن أسأله هل وجدت حقا ما تركه لك ؟ "

عمر :" وجدت طريقا لم أكن لأجده لو دُفنت بتابوت حيا لباقى حياتى وأنا قانعها بما وجدت ".

مازر : " لقد ترك لك شيئا أخر شيئا لم يملكه الخطاف ولم يتصرف فيه "

عمر : " وما هو ؟ "

مازر : " إرث جدتك التى قُتلت هنا ستجد كل ما كان يخصها بهذا الصندوق ستجد به ذهبياتها وأشياء أخرى ربما تستفيد منها من أجل حياتك الأخرى "

عمر : " سأخذ هذا الصندوق ولكن رحيلى لن يمر مرور الكرام ".

ضرب العصا بالأرض ثلاث وتحدث بتماتم لا تُفهم سال بعدها الدم من عينيه وصرخ قائلا

"أن توصد الأقفال على كل باب وألا يدخل القصر حتى السراب ويُحبس الجميع فى كل سرداب ولا يسألن عن الأسباب ".

رحل عمر "على الخطاف " فى هذه الليلة الممطرة التى يسودها البرق والرعد ووضع وشاحا أخفى به وجهه وإنطلق إلى رحلته التى استمرت أكثر من شهر إلى أن وصل إلى بلدته فى ليلة مظلمه بحالة يرثى لها ضرب المفتاح فى باب الشقة ليأخذ حماما ساخنا ويغير ملابسه التى بدت عليه كما لو كان من أهل الكهف .

لم ينتظر بعدها قدوم الصباح ليبحث عن أخته التى تركتها امه عند الجيران طوال تلك المده.

طرق الباب عليهم وأصر على أن يأخذها رغم أنهم أخبروه بأنها نائمه .

حمل " جنا" بلطف تلك الطفله التى لم تتجاوز الخمس سنوات حتى بعد أن علم أنها ليست أخته بالأساس وأنها طفلة يتيمه أحضرتها أمه لتكمل المسرحية الكبرى التى كانت تلعبها .

لكنه أصر على أنها ستظل أخته وأنه سيتكفل برعايتها مهما كلف الأمر .

وضعها بالفراش وظل مستيقظا فيما تبقى من ليلته.

أشعل شمعة وجلس بجوارها ينظر إلى شعلتها يفكر فيما سيفعله فى الغد.

وما إن أتى الصباح حتى إنطلق ليرى حبيبته " لورا " بعد أن أيقظ " جنا " وأعد لها الإفطار

فياله من صباح رأى فيه ضحكة صادقة وفرحة لا يشوبها الكذب ووجها إفتقده منذ زمن أعاد إليه ما بقى من الأمل فى الحياة.

بهذا التوقيت من العام وهذا اليوم يعلم جيدا مواعيد رحلات حبيبته " لورا " وكان متأكدا بوجودها بإسطنبول بنفس الفندق المعتاد فندق جولد أبريليس .

وتأكد من ذلك عندما إتصل بالفندق قبل ذهابه إلى هناك أراد أن يجعلها مفاجأة لها .

إنتظر أمام الفندق موعد رحيلها لرحلتها القادمه .

دوما ما أحب المفاجأت ولكن هذه المره ليست المفاجأة كما أرادها وليس هو بالمفاجأة التى تتوقعها .

خرجت من الفندق يرافقها رجل أخر يضع يديه حول رقبتها يسيران معا إلى سيارته التى إستقلاها ورحلا

لم يجعلها تراه ظل يراقبها من بعيد ليعرف بعد ذلك أن تلك الليلة كانت أخر ليلة فى شهر العسل بالنسبة للزوجان

حيث استقرت الزوجة بإسطنبول إلى جانب زوجها .

بعد أن تركت عملها فى شركة الخطوط الجوية الفرنسية - كيه إل إم وتعمل مع زوجها الطيار بشركة صغيرة

أنشأها ليقوم برحلات الطائرة البحرية بين إسطنبول وبورصا تلك الرحلات القصيرة التى تتيح فرصة مشاهدة مضيق البوسفور وجزر الأميرات من الأعلى

ظل " عمر" يراقبها لأيام حتى بعد أن علم أنها تزوجت وتعيش حياة طبيعية تردد كثيرا قبل هذا اللقاء المؤلم الذى حاول عقله أن يتجنبه ولكن قلبه أصر عليه .

فكلنا نستحق لقاء أخير مهما ألمنا الرحيل .

هذه المره إنتظرها بعد إنتهاء دوامها أسند ظهره إلى سيارتها ووضع يديه فى جيبه

خرجت مبتسمه من عملها تتحدث بهاتفها الجوال وتضحك إلى أن وقع نظرها عليه.

تجمدت مكانها وأسقطت هاتفها من يدها .

تحركت نحوه ببطء ولكن أمسك يدها من كان منتظرا على الجانب الأخر من الطريق إنه زوجها .

نظر إليها " عمر " ثم نظر إلى زوجها ونظر إليها مرة أخرى ورحل مبتعدا يجر قلبه الذى كان يرفض الرحيل .

مرت أيام حاول فيها إقناع قلبه أن اللقاء الأخير لا جدوى منه يحاول فيه كل منا إثبات أن له أسبابه.

أخذ ذهبيات جدته وباعها استطاع أن يقتات منها وبدأ فى استثمارها بتجارة التحف والمشغولات الفنيه النادره التى بدأت تأخذ بشغفه مرة اخرى .

إلى أن إكتسب المهاره والشهره تدريجيا فى هذا المجال بعد أن ركز جهوده وحياته لعمله ولكنه إقتطع جزءا من هذا الوقت للطفلة التى تعيش معه فهى الشئ الوحيد الحقيقى فى حياته الأن .

لولاها لما شعر أنه مازال حيا .

إستطاع أن يحيا حياة طبيعيه بالنسبه لإبن ساحره وحفيد رجل تهابه الجن قبل الإنس هذا كل ما أراده حياه طبيعيه هادئه .

أحيانا يستيقظ على كوابيس فينتفض منها فزعا يحضرها جده ويحضرها شخص أخر ضاحكا مجنونا أحاديث تدور بين الإثنان وهو يشاهدهما ولا يحرك ساكنا ولكن ما كان يدور بين الرجلين مخيفا .

إستيقظ فى يوم على طرقات متتاليه على باب شقته قبل بزوغ الفجر توقفت قبل أن يفتح الباب

ليجد ورقة أمام الباب كُتب عليها

" غدا نفس المكان نفس التوقيت ".

دار بخلده الكثير

أحيانا تمر برأسه لحظات لا تُنسى تلك التى ظن أنها ستدوم للأبد تلك التى ظن أنها لا تذكر منها شيئا .

فى التوقيت والمكان المحدد كان حاضرا فوجدها تنتظره هناك

لورا : " لم تنسى "

عمر : " أبدا "

لورا : " لا اعرف من أين أبدأ "

عمر : " يمكنك ان تبدأى بيوم زفافك "

لورا : " أنا حقا ...."

يقاطعها قائلا :" أو اليوم الذى رحلت فيه "

لورا : " أنت ....."

يقاطعها مره أخرى : " أظن أن هذا عادل بما فيه الكفاية أليس كذلك ؟ "

لورا :" ظننت أنك رحلت للأبد طال غيابك عنى إعتقدت أنك لن تعود لست الوحيد الذى ألمه الغياب "

عمر :

" أعترف أننى شعرت بالخذلان وأُصبت باليأس وخيبة الأمل ولكن بعد ما حدث أدركت أننى كنت مخطئا فى كل شئ المشكلة أننى أحببت كثيرا ووثقت أكثر وفكرت قليلا وضعفت أكثر من اللازم "

لورا : " أنت تعلم أننى لم اكن لأتخلى عنك "

عمر : " بالطبع أشعر بالخجل عندما أسمع هذا منك عندما عدت تمنيت أن أبقى بجانبك أن أحكى لك عن كل شئ ولكننى عندما عدت وجدت نفسى وحيدا

عندها فقط وصلت إلى الحافة وكنت بين خيارين كلاهما جحيم إما ان أعود إلى ما لا يستحق وإما ان أخسر كل ما له قيمة داخلى عندها فقط قررت أن أترك اللعبه عندها فقط قررت الرحيل وأعلنت إنسحابى "

تنهمر الدموع من عينيها قائلة :

" لقد أوجعتنى بصمتك أكثر من الوجع الذى أصابنى به كلامك "

عمر : " فعلا ماذا عن كل ما عشناه معا ؟

ماذا عن تلك المشاعر التى كانت بيننا ؟ "

لورا : " أنت لا تعلم شيئا لقد غبت لمدة طويله ولم أعلم ما حدث لك لم أعلم أى شئ عنك بحثت عنك فى

كل مكان بحثت فى وجوه الناس ولكننى لم أجدك أبدا كنت وحيدة

ويائسة لدرجة أننى فكرت أنك رحلت ولن تعود وتمنيت الأفضل لك وتمنيت أن تجد الحب والأمان إلى حيث رحلت"

عمر : " ليس لديك أى فكره عما وجدت كل ما وجدته كان الكراهيه والخوف ولكن عندما عدت ظننت أنى سأجد الأمان ولكن ما وجدت كان غير ذلك

كان أفضل لى أن أموت وحيدا بقبو مظلم على أن أحيا كل يوم وأنا أعلم أنك إخترتى أن تكونى لغيرى "

لورا : " أنا حقا أسفة على كل شئ "

عمر : " لا تأسفى على ذنب أنت بريئة منه فهو ذنبى أنا "

لورا : " أنا أعلم ما تشعر به "

عمر : " أنت لا تعلمين أى شئ ولا تشعرين بشئ "

لورا : " لا تقل ذلك "

عمر : " إذن صارحينى لماذا جئت اليوم ما الذى أتى بك إلى هنا لماذا أحضرتنى إلى مكان يشهد لنا لا علينا؟ ".

لورا : " لأن ما بدأ هنا لابد أن ينتهى بنفس المكان وسينتهى الأن "

عمر : " لقد إنتهى منذ أن قررتى التخلى عنى والمضى قدما إنتهى يوم أن رأيتك لغيرى "

لورا قائلة

والدموع تنهمر من عينيها : " نعم وأنا أثق بقراراتى ولست نادمه وأنا سعيده بذلك ".

عمر : " حقا هل أنت سعيده ؟ ".

لورا : " بالطبع فالأن لدى زوج يحبنى ويخاف على ولا يبتعد عنى ولا يتركنى وحيده

لدى من يشعرنى بالأمان ويحتوينى ويبقى بجانبى لدى الأن من أرتمى بذراعيه ليلا لكيلا أشعر بالخوف ".

عمر : " إذن هو شخص جيد ؟ "

لورا : " أفضل منك بمراحل أعتقد أننى محظوظة بوجود رجل مثله بحياتى حتى أننى أحلم به كثيرا "

عمر " هذا شئ جيد لقد قال ابن سيرين (أن أحلام المرء ثلاث إما حقيقة أو رغبه أو شهوه) "

لورا : " أنت تتذكر كلماتى "

عمر :" بالطبع "

يلتفت مهما بالرحيل ويدير ظهره لها وينظر لأعلى قائلا

" لقد تغيرنا لم نعد ما كنا عليه ولن نعود أبدا

أنا سعيد من أجلك أنا سعيد لأنك وجدت السعادة الحقيقيه التى تحلمين بها والحياة التى تتمنيها "

تحرك مبتعدا ثم توقف فجأة وإلتفت إليها قائلا :

" أنا سعيد أننى أعرفت أنى لم أكن جيدا بما فيه الكفايه"

تقاطعه قائلة : " ولكننى أفتقدك أحيانا أفتقدك كثيرا "

عمر : " أعتنى بنفسك "

ورحل مبتعدا إلى غير رجعه لم يقطع طريقه سوى هطول المطر وكأن دموعهما هى التى أمطرت تلك الليلة .

ظل يسير لساعتين فى المطر إلى ان استوقفه شاب مبتسما يسأله عن قداحه فأعطاه واحدة أشعل بها سيجارة ونظر إليه الشاب بعدها وأعطى له القداحه وعندما مد يده ليأخذها قال له الشاب : " مازلت تضع الخاتم "

عمر : " هل تعرفنى ؟"

الشاب : " لقد رأيتك من قبل من سنوات عندما كنت بمدينة أرل كانت معك إمرأة جميله مازلت أذكر ملامحها ".

عمر : " تلك ليست إجابه على سؤالى "

الشاب : " لا أنا حقا لا أعرفك ولكننى عرفت جدك لقد كان صديقى ".

عمر يمسك عصاه لتمر بعينيه الكثير من الذكريات فيتحدث قائلا : " أنت السائر الساحر "

الشاب : " هذا على ما يبدو هو أنا "

عمر : " ماذا تفعل هنا وكيف وجدتنى ؟ "

الشاب : " بالحقيقه لم يختلف جدك عنك كثيرا رأيتك أول مرة بالمدينه القديمة بأرل

عرفتك من خاتمك رأيت تلك النظرة على وجهك تلك الحياة التى تحياها .

ظننت أنك للحظة واحدة تستحق أن تعرف الحقيقة

زرت جدك وأخبرته أنك تشبهه فى كل شئ فثار وجال ولم أعلم بعدها عنه شيئا "

عمر : " أنت من علم الخطاف كل شئ أنت معلمه "

يتطاير الغبار من العصا وينتشر فى المكان مكونا ضباب

ليكمل عمر قائلا : " أنت صانع العصا السائر المجنون ساحر العيون "

الشاب : " هكذا يسموننى فعلا وبالطبع أنا معلم الخطاف إنقطعت عنى أخباره إلى أن أرسل لى رسالة أجاب فيها عن سؤال سألته له منذ ثلاثين عاما"

عمر : " وما هو ؟ "

الشاب : " متى يتفوق التلميذ على أستاذه ؟ "

عمر : " وماذا كانت إجابته ؟ "

الشاب : " كانت إجابته (عندما يتفوق تلميذ التلميذ على المعلم المخضرم) لم أفهم من إجابته إلا انه يعد تلميذا بالطبع لم أكن أتخيل أن هذا التلميذ سيكون أنت "

عمر : " ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟ "

الشاب : " أيهما تفضل أنا أناديك (عمر) أم (على الخطاف)

إن العصا لا تكذب أيها الخطاف فبقدر ما تنقل ذكريات ماضيها لحاملها فهى تحمل منه ما بداخله حاضره وما يدور برأسه "

عمر : " إذن أنت تعلم ما انوى ان أفعل بك ؟ "

الشاب : " بالطبع ولكن قبل أن تفعل شيئا دعنى أعطيك أخر ما عندى فكما ترى لقد عشت من الزمان كثيرا دون كل أو تعب مازلت شابا بعد مئات السنين "

عمر : " هات ما عندك ؟ "

الشاب : " لقد حضرتك مع تلك الفتاة فإسمع كلماتى هذه لأننى سأكون أخر أستاذ لك ففى النهاية أنت تلميذ تلميذى "

عمر مستندا على عصاه : " بدأت أشعر بالملل ".

الشاب : " سأطيل الكلام ولكن إسمع للختام

(إن الحب ان لم يكن له صمام يحكمه يتلف ويتأذى صاحبه فإن لم تستطيع السيطرة تفقد كل شئ حتى نفسك وأخلص الناس لك وأقربهم إليك .

قلوبنا كالمصابيح تتوهج بالحب ويكسرها الفراق فلا يوجد مصباح مكسور يضئ ولا أحد يعيد تجميع المصابيح المكسورة

بعض المصابيح تحترق من فيض الحب تحرقها الطاقة الزائدة ولا تعد صالحه للاستخدام حتى لو كانت سليمه لن تضئ أبدا

ولا يستطيع أحد أن يمد يده ليصلحها لأنها تصبح كئيبه ومظلمه والناس تخاف الإقتراب مما هو كئيب ومظلم "

عمر :" لقد أحسنت بأخر كلماتك والأن لماذا تتبعها بضحكاتك "

الشاب : " ماذا أقول إعتبرنى ساحر مجنون ولكن جدك يستحق لقب الأستاذ فقد عبث برأسك جيدا

أطعم أبيك الفخ على أكمل وجه خطط لكل شئ لتكن هذه النهاية الدراماتيكيه له إختار نهايته ".

عمر : " حقا ؟؟"

الشاب : " بالطبع هل تظن أن الجن خافوا جدك لقوته لا ليسوا كذلك لقد كانوا يخشونه لأنه كان يدخل فى نفوسهم ويعلم خباياها وبهذا يحول القوى إلى خائف والعاقل إلى مجنون ".

عمر : " إذن هو من أصابك بالجنون "

الشاب : " قليل من ذلك

هل تظن أنه كان سيسمح لجنى أن يعصاه بالطبع لا لم يكن أحد ليعصاه فى ملكه لا (رازديجان) ولا (مازر) ولا غيرهم حتى العصيان من أيهم كان بأمره

إن جدك ممن يحضرون لعبثهم حتى بعد موته"

عمر : " إن كان كذلك فإعلم ان روحه هى التى أنقذت حياتك اليوم "

الشاب : " ومن أى شئ تنقذ حياتى أنا لم أفعل شيئا ؟"

عمر : " إن أخبرتك ستكون هذه نهايتك هل أنت مستعد لتكون نهايتك على يدى ؟ "

الشاب : " هات ما عندك "

عمر : " أنت من تسببت فى كل ما حدث منذ البداية علمت أن تلميذك لا يريد أن يكمل فى نفس طريقك لم يرغب فى أن يكون مثلك أليس كذلك ؟ "

الشاب : " هذا صحيح "

عمر : " بالطبع كنت تعلم أنه سيتخلف عن مسارك عاجلا أم أجلا فأهديت إليه قصرك وقد كنت تعلم أهل البلده جيدا

فعاقبت كل منهم بالأخر عاقبت الخطاف بأهل البلده وعاقبت أهل البلده بالخطاف "

الشاب : " أردت أن يأخذ كل منهم عقابه"

وصدرت منه ضحكات متتاليه دوت بين سقوط المطر

عندها ضرب عمر عصاه فى الأرض خمس مرات فتطاير غبار الذكريات فى كل مكان وإمتلأ المكان بالضباب الذى وجهه عمر إلى السائر المجنون ليستنشقه بالكامل رغما عن إرادته وقد إزرق لونه وأخذ يتلوى فى الأرض كما لو أُصابه الصرع إلى أن انتهى الغبار ولم يعد للعصى وجود إنتهت عن أخرها وتحولت بالكامل إلى غبار .

عمر : " الأن وقد ذُقت بعضا مما فعلت كيف ستحيا وداخلك ذكرياتنا وماضينا وحاضرنا تعاستنا وبؤسنا سيدور داخلك ذكرياتنا فى كل لحظة تعيشها بالغبار الذى استنشقته لن تعود إلى سابق عهدك بعد الأن ستأتمر بأمرى لقد إنتهى عهدك أما أنا فلا أحتاج إلى عصا بعد الأن "

تحول بعدها الشاب إلى عجوز كهل يكاد يلتصق جلده بعظمه ولا يرى منه وجهه .

بعدها رحل عمر الخطاف بعيدا وترك الصريع مطروح أرضا .

بعد عدة سنوات إقترب مركب صيد من ميناء كاديكوي الذى وقفت على مرفاه فتاه شابة جميلة لم تتجاوز الثلاثين تلوح من بعيد لشاب يقف على متن المركب وما إن إقترب المركب من الميناء حتى ركضت إليه ونزل منه وإحتضنته قائلة : " لقد إشتقت إليك لقد طالت غيبتك بالبحر "

قاطع كلامها شاب أخر نزل من المركب : " إنه يريد قضاء عمره كله على متن هذا المركب "

فتحدثت مرة أخرى قائلة : " أنا أتحدث إلى أخى لم أحدثك أنت "

عندها تحدث أخيها قائلا : " ومن لا يشتاق إلى أجمل فتاة فى إسطنبول لؤلؤة سواحل كاديكوى كيف حالك يا جنا ؟"

جنا : " بخير يا أخى العزيز "

عمر : " أنا أتضور جوعا أين سنتناول الغداء؟"

جنا : " مطعم جديد بشارع بغداد "

عمر : " وهل تسمحين لأن يحضر معنا صديقى هذا " مشيرا إلى الشاب الذى نزل معه من المركب .

جنا تنظر إليه بإحتقار : " رغم أنه مجنون لكن لما لا طالما أنك تريد ذلك يمكنه المجئ ولكنه سيدفع الحساب "

الشاب : " وأنا موافق على ذلك "

جنا : " قلت لك إنه مجنون "

عمر : " بالطبع فالجنون جزء من إسمه ".

ويشير إليه بخاتمه قائلا : " أليس كذلك ؟ "